صور من الانتماء المكاني
في شعر محمد بن علي العمري

إعـــداد

الباحثة/ عائشة أحمد عائض عسيري
باحثة دكتوراه بجامعة أم القرى
تخصص (أدب ونقد)

تاريخ الاستلام : ٢٠/ ٤/ ٢٠٢١م

تاريخ القبول : ٢٤/ ٥ /٢٠٢١م

ملخص:

يتناول هذا البحث نماذجًا من ديوان الشاعر محمد بن علي العمري "الريحانة" والذي جمع فيه جل شعره، مسلطا الضوء عليه من زاوية الانتماء المكاني، حيث يكشف البحث في مبحثين رئيسين عن صور الانتماء المكاني لدى الشاعر، وأساليب التناول لديه التي تجلى من خلالها هذا الانتماء، فبرز في المبحث الأول صور الانتماء للأماكن المقدسة باستخدام المعجم الديني وذكر خصوصية هذه الأماكن ومكانتها في وجدان كل مسلم، مفتخرا بانتمائه إليها من وجهين انتماء الدين والمكان، وفي مبحث آخر تجلى شدة فخر الشاعر لمنطقته وقريته، وحنينه القوي للعودة إليها مع وصف لعاداتها على سبيل الافتخار، وإظهار مشاعر الحب في إبرازها بصورة المحبوبة.

Abstract:

This research deals with models from the library of the poet Mohammed bin Ali al-Amri, "Al-Rihana", in which he collected his poetry, highlighting it from the point of view of spatial affiliation. The research reveals two major topics about the spatial affiliation of the poet and his methods of handling, . The first part of the first section shows the pictures of belonging to the holy places using the religious lexicon and mentioning the specificity of these places and their status in the conscience of every Muslim, proud of belonging to it from both sides of the religion and place. In another subject, the poet's pride is evident in his region and his village and his strong nostalgia for returning to it. Bloating T, show feelings of love to be highlighted in the beloved.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الهدى،محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد

منَّ الله على هذا الوطن الغالي بنعم كثيرة، فهو بلد الحرمين ومنه بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة الإسلام، وإليه يعود الفضل بعد الله في الحفاظ على كثير من قيم الإسلام ومبادئه بما سخر له الله تعالى من مميزات.

من هذا يشعر الفرد في المجتمع السعودي بالفخر والاعتزاز كونه جزء من هذا الكيان المتماسك القوي، وهو شعور ينمي الحب والانتماء لدى أفراده، لذلك جاءت أهمية هذا الموضوع في مجال الشعر السعودي للتعبير عن مشاعر الانتماء لدى شعراء المملكة كون الأدب يعد في وجه من وجوهه ناتجاً عن تفاعل الفرد مع مجتمعه وبيئته، وذلك من خلال تناول نماذج متنوعة لشاعر سعودي معاصر، عايش أحداثا ومناسبات وطنية عديدة وعبر عنها في ديوانه الريحانة بعاطفة الشاعر المحب للمكان، وذلك باستقراء نتاجه الشعري المتمثل في ديوانه الريحانة، والذي يضم جل شعره، والوقوف على بعض النماذج التي برز فيها جانب الانتماء المكاني، للإجابة على السؤال التالي: ما هي صور الانتماء المكاني لدى الشاعر محمد بن علي العمري، وكيف عبر عن هذا الانتماء؟

ولعل أبرز ما وقف عليه هذا البحث من دراسات سابقة، هو دراسة لنيل درجة الدكتوراه للباحث حمود بن محمد النقاء، والصادرة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي بعنوان: (الانتماء في الشعر السعودي،١٣٥١هـ-١٤٣٠هـ) وتحدث فيها عن الانتماء بكافة صوره، الديني والوطني والانتماء إلى الذات، ويتناول فيها نماذج لشعراء المملكة من خلال تسليط الضوء على أشكال الانتماء في نماذجه المختارة، بعد أن عقد بابا خاصا للتعريف بمفهوم الانتماء وأنواعه وعلاقته بالشعر على امتداد العصور الأدبية وصولا إلى الشعر السعودي وأغراضه التي برز فيها هذا الجانب، ولكن الباحث لم يضمن شعرالشاعر محمد بن علي العمري في دراسته.

يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن صور الانتماء المكاني وأساليب الشاعر في التعبير عنه.

وقد قسم هذا البحث إلى تمهيد يشير في محور أول إلى المعنى اللغوي للانتماء ومفهومه وصوره، ومحور آخر فيه تعريف موجز بالشاعر، ثم يأتي المبحث الأول بعنوان: صور الانتماء المكاني للأماكن المقدسة ومبحث ثان بعنوان: صور الانتماء المكاني لمنطقة الشاعر، ثم خاتمة شملت أبرز النتائج، يليها قائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد

المحور الأول: مفهوم الانتماء

الانتماء في المعاجم اللغوية:

للانتماء دلالات لغوية متعددة، والمتأمل فيما قدمته المعاجم اللغوية يلحظ وعلى الرغم من تعددها،أنها تدور حول مضامين متقاربة، فالنمو هو الارتفاع والزيادة أو النسبة إلى الشيء والإسناد إليه.

جاء في معجم العين: " نما الشيء ينمو نموا، ونمى ينمي نماء أيضا، وأنماه الله: رفعه وزاد فيه"(١)

وهو بهذا المعنى يحمل دلالة الزيادة والارتفاع.

وفي معجم الصحاح: " نميت الحديث إلى فلان نميا، إذا أسندته ورفعته، وكذلك نميت الرجل إلى أبيه نميا : نسبته إليه، وانتمى هو: انتسب"(٢)

وهو عنده يحمل دلالة الزيادة ورفع الحديث إلى صاحبه أو إسناده إليه.

وجاء في القاموس المحيط: "نمَيته ونمَّيته: رفعته وعزوته: وانتمى إليه: انتسب، وانتمى البازي: ارتفع من موضعه إلى آخر"

وهو عنده يحمل كذلك دلالة الارتفاع والانتساب ورفع الشيء من موضعه.

والباحث في هذه الدلالات اللغوية، يلحظ اتفاقها على دلالة الانتساب والارتفاع والزيادة وفي هذه المعاني تتجلى صور الانتماء بمفهومه الوجداني الذي يحصل نتيجة لانتساب الفرد لجماعة ما، ورفع نسبه إليها وزيادته فيها.

تعريف الانتماء:

" الانتماء كمفهوم ينتمي إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية، ويعني الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع الآخر، وفي الحقيقة أن دافع الانتماء هو الجوع الاجتماعي، إذا توفر لدى الفرد وتحفز، سيبلغ من القوة أنه يستطيع أن يعدل كثيرا من سلوك الفرد، حتى يصبح سلوكه مطابقا لما يرتضيه مجتمعه"(٣)

ويعرف الانتماء بأنه: "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين، بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه، في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى"(٤)

وهو " الانتساب الحقيقي للدين الإسلامي والوطن، فكراً ومشاعراً ووجداناً، وهو اعتزاز الفرد بالانتماء إلى دينه من خلال الالتزام بتعاليمه والثبات على منهجه، وتفاعله مع احتياجات وطنه، وتظهر هذه التفاعلات من خلال بروز محبة الفرد لوطنه والاعتزاز بالانضمام إليه والتضحية من أجله،"(٥).

صور الانتماء: تتعد أشكال وصور الانتماء وتتنوع مشاربه ومنها:

١- الانتماء الديني: يأخذ شكل الانتماء إلى مذهب أو طائفة أهم أشكال الانتماء الديني.

٢- الانتماء القبلي: وهو صفة تطلق، وليست تعبيرا دقيقا عن الموصوف، وقد لا يعرف هذا الموصوف من نعته إلا الاسم.

٣- الانتماء الأدبي:وهو انتماء الأديب وتصنيفه ضمن مذهب من المذاهب الأدبية، فهذا شاعر ينتمي لمذهب الشعر التقليدي الكلاسيكي، وآخر ينتمي إلى المذهب الحديث، وهكذا.

٤- الانتماء السياسي: يأخذ الانتماء إلى التنظيمات السياسية بتجلياتها في صور الأحزاب والجماعات، الشكل الأبرز، وفي حالة أرقى يكون الانتماء إلى القيادات الأوسع، منها القومي ومنها الديني ومنها الرأسمالي والاشتراكي ...الخ.

٥- الانتماء الوطني: وهو نتيجة لتجاوب الحكومات مع متطلبات الأفراد، حيث تقدم الدولة الحماية الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية للأفراد، عن طريق القانون والدستور الذي يساوي بين الأفراد ككيانات بشرية طبيعية، وفي المقابل يقدم الأفراد الولاء للدولة، ويلجأون إلى قانونها للحصول على حقوقهم.[٦]

وللشعراء دورهم البارز في التعبير عن الانتماء للمكان بمشاعر صادقة وأحاسيس مرهفة، ويختلف التعبير عن هذا الانتماء من شاعر لآخر بحسب رؤيته.

المحور الثاني: التعريف بالشاعر

الدكتور محمد بن علي بن محمد الكعبي العمري يكنّى بأبي الطيّب .شاعر وأكاديمي سعودي.

ولد شاعرنا في مدينة النماص جنوب المملكة العربية السعودية في ١٣٩٦/٤/٢هـ الموافق 2 ابريل من عام 1976 م.

تلقى تعليمه العام في مدينة النماص ثم التحق بكلية اللغة العربية فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها وتخرج فيها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٤١٨/ ١٤١٩ هـ ومن ثمّ عين معيدا فيها.

ابتعث إلى جامعة أم القرى فحصل على درجة الماجستير في اللغة والنحو والصرف ثم انتقل للعمل بها عام ١٤٢٥ هـ

وفيها أكمل دراسته العليا فحصل على درجة الدكتوراه منها في اللغة والنحو والصرف بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطباعة الرسالة وتبادلها

مع الجامعات والمؤسسات الثقافية المناظرة. تدرج في العمل الأكاديمي ويعمل الآن عضوا لهيئة التدريس في قسم اللغة والنحو والصرف بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد بأبها.

له عدد من الأبحاث العلمية المنشورة وهي:

- **قياس العكس في الجدل النحوي :**

١- دراسة أصولية تطبيقية. (رسالة دكتوراه) أوصت اللجنة بطباعتها

- **وجه التنظير في العربية:** ٢- دراسة في تراث ابن جني. رسالة ماجستير

٣- الترادف والاشتراك اللفظي في مصطلحات علوم العربية : الأسباب والآثار منشور في العدد ٢٧ للعام ٢٠٠٩ م بمجلة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر القاهرة.

- **أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب،** ٣- تحقيق ودراسة رسالة في بيان الإعراب والاستثناء في لا إله إلا الله، لشيخ الأزهر الشيخ عبدالله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة.

٤- مواقف العلماء من نصوص سيبويه في فعلان فعلى: عرض وتحليل ورؤية، منشور في المجلة الأردنية للغة العربية وآدابها.

انعكست هذه السيرة العلمية على نتاجه الأدبي الذي جمعه كله في ديوان واحد بعد بلوغه سن الأربعين، حين شعر بنضوج تجربته الشعرية، واكتمال رؤيته،بعنوان الريحانة يضم ثلاثة ألاف بيت من الشعر الفصيح،أحيا الكثير من الأمسيات الشعرية، والاحتفالات الرسمية، وهو مشارك في عدد من الأنشطة الأدبية، حصل على جوائز تقديرية في مختلف الأنشطة والفعاليات والمسابقات، إلى جانب العشرات من الدروع وشهادات التكريم.(٧)

المبحث الأول : صور الانتماء للأماكن المقدسة

لا يكاد يخلو الشعر الوطني السعودي من ذكر الأماكن المقدسة على سبيل الحب والفخر والانتماء، وقد تجلى هذا الانتماء في شعر محمد العمري في أكثر موضع فهو حين يتغنى بموطنه، لا تفوته الإشارة إلى مكانة مكة والمدينة في وجدان كل مسلم، يقول في قصيدة " الوطن\ الملك":

دُم في جفون الأمن والأمان يا موطني يا درة الأوطان
يا درة شعت بأنوار الهدى ومباهج التوحيد والقرآن
من قلبها الإسلام ينشر نوره في طي كل إقامة وأذان
في موطني هدي النبي وشرعه يكسو الحياة بأجمل الألوان
في موطني أم المواطن مكة للمسلمين عزيزة الأركان
في موطني عطر المواطن طيبة فواحة بالروح والريحان(٨)

تنتمي هذه الأبيات إلى فضاء المكان انتماءً حميميا، فهي تجمع بين الانتماء الوطني للوطن الكل، والانتماء الوطني إلى الوطن الجزء المتمثل في مكة والمدينة، مراعيا في ذلك الترتيب حيث بدأ ببيان المكانة الدينية لهذا الوطن بما يتميز به من وجود مكة المكرمة والمدينة المنورة فيه، ثم ما يعم هذا البلاد من العدل والتلاحم في ظل حكومتها.

وقد نوع الشاعر في الأساليب، فالقصيدة تنفتح على الأمر الذي يخرج إلى دلالة الدعاء، ثم النداء الذي تحولت معه الأبيات إلى خطاب موجه لمستقبل، وينطوي على دلالة التعظيم والشموخ.

كما أسهم التكرار في الأبيات التي تجلى فيها الانتماء المكاني لمكة والمدينة، في تأكيد اعتزاز الشاعر بانتمائه لهذا الوطن، من خلال الضغط على ضمير المتكلم

في كلمة " في موطني" الذي يضم : أم المواطن مكة و عطر المواطن طيبة، التكرار هنا أدى دوره في التكثيف الدلالي للانتماء المكاني وجعل الثقل الإيقاعي متمركـــزاً حول هذا المضمون مما يشد انتباه المتلقي، للتركيز على المعنى.

والقارئ يلاحظ هيمنة المعجم الديني، من خلال حشد الألفاظ المقتبســـة مـــن القران والحديث الشريف،مثل: (نور الهدى- إقامة وأذان- الواحـــد الـــديان- روح وريحان- تلاحم البنيان)

كما لا تخلو هذه القصيدة من الصور البيانية، والتـــي تبـــرز علـــى امتـــداد الأبيات، حيث لا يخلو أي بيت من صورة تزيد المعنى قربا وجمالا، مثـــل قولـــه: جفون الأمن والأمان وهي صورة تستدعي من الذاكرة أبيات المتنبي:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم(٩)

حيث ارتبطت هذه الأبيات في الذاكرة العربية بالأمان الذي يشعر به ولـــي الأمر في ظل الخوف والاضطراب الذي يلف العالم من حوله.

تحضر الصور الشعرية في كل شطر مثل (درة- أنوار الهـــدى- يكســـو- عطر- مباهج.- من قلبها - تموجت..) ولكل صورة أهميتها ووظيفتها الدلالية التي تنطوي عليها.

وفي قصيدة بعنوان " أم القرى" يتجلى الانتماء المكاني في أوضح صـــوره، من خلال تسليط الضوء على مكانتها لدى المسلمين، وتصوير أماكنها التي تحضـــر في عمق الذاكرة الإسلامية، يحبها المسلم وينتمي إليها انتماء الأخوة، يقول:

كل المسالك في أم القرى تقف — لا قنـــدهار ولا روما ولا النجف

أم القرى أمنا في حجر كعبتها — وثـــدي زمزمها مأوى ومرتشف

أم لنـــــا أنجبتنا أمـــة وسطا — فكـــــان للخير منا روضة أنف(١٠)

استغل الشاعر التسمية " أم القرى" وقام بتعميق دلالتها لتتجاوز معناها المتعارف عليه إلى معنى أبعد، يتمثل فيه الانتماء المكاني بشكل أكثر قوة وحضورا، فأم القرى هي أم المسلمين جميعا، والانتماء لها كانتماء الأخوة الذين تغذوا من ثدي واحد ويعودون إلى مأوى واحد، يتجلى ذلك بشكل أكثر وضوحا في حضور مفردات مثل "أمنا – انجبتنا – منا "، وما يتصل بها من الضمير العائد على الجماعة المنتمي إليها.

وهو بذكر الأماكن الجزئية ذات الصفات المركزية للمكان المقدس" كعبتها– حجرها – زمزم – جبل النور" على نحو تكتمل فيه صورة الكل مع الأجزاء، يؤكد فعالية المكان المقدس في تعميق الإحساس بالانتماء، فلها مكانة متميزة في وجدان كل مسلم.

وهو حين يفتتح القصيدة بـ "كل" يشير إلى الشمولية والعموم، بحيث ينفي أي وجه للمقارنة بين أم القرى التي ينتمي إليها كل فرد مسلم وبين غيرها .

كما أنه يكثر من استخدام الصور في سياق الحديث عن الانتماء المكاني ليؤكد ويقوي حضوره، مثل: " تقف–ثدي – أم لنا– مأوى"، فتقف تشير إلى شموخ المكان ورفعته، وثدي يشير إلى الانتماء الفطري تجاه الأم وهو أول انتماء يشعر به الإنسان، وهي المأوى الآمن لكل مسلم.

المبحث الثاني: صور الانتماء المكاني للمنطقة

ويقصد به البحث منطقة الشاعر ومدينته وقريته، وتتجلى في صورة أكثر وضوحا في القصائد التي نظمها الشاعر في سياق الترحيب بالشخصيات الوطنية عند زيارتهم للمنطقة، أو في المناسبات الوطنية التي يشارك بها الشاعر، وفيها يعبر الشاعر عن شرف المكان وفخر الانتساب، يقول في قصيدة "معلقة الأزد"(١١):

هنا من قامة الشرف الرفيع وتحت رعاية الجبل المنيع
وفي كنف السحاب على سفوح محرمة على النسب الوضيع
أتينا نشهد التاريخ أنا من الدنيا بمنزلة الربيع
فما خلقت عسير الأرض إلا لأهل العز والحسب الضليع
أتاها الأزد من سبأ بن هود بما ورثوه من مجد تليع

تختزن القصيدة منذ عتبتها الأولى في العنوان " معلقة الأزد" ثيمة الشموخ والرفعة، بالاعتماد على الذاكرة في استرجاع التاريخ العريق لقبائل الأزد، ونظمها في معلقة تحفظ أبياتها كما حفظت معلقات الشعر الجاهلي.

يبرز الفخر بمنطقة عسير في هذه القصيدة من خلال حشد الشاعر لكلمات معجم الفخر (الشرف – العز – الرفيع – الجبل – الحسب – المنيع ...)، ومن خلال إيراد الصور المعبرة عن هذا المضمون (محرمة على الشرف الوضيع) (في كنف السحاب) (في شوامخها جلالا).

وفي هذا الغرض الشعري يبرز الانتماء المكاني بصورة واضحة، فهو حين يعبر عن مشاعر الفخر ويرفع صوته بها من خلال معجمه، يعبر عن انتماء وحب وولاء للمكان.

وهو مع سيطرة شعور الفخر يصرح بانتمائه المكاني (منهم _ مني) في قوله:

أنا منهم وهم مني في نهار وأخشعهم قلوبا في هزيع[١٢]

فهذه الأبيات إذا تشتغل على تصوير شموخ المنطقة، معيدا إلى الأذهان تاريخ قبائلها وأمجادهم،مفتخرا بحسبها ورفعة منزلتها، لتجعل القارئ ينقاد لا شعوريا نحو تأكيد انتماء الشاعر لهذا المكان، لأنه شعر بعمق مكانتها في قلبه وسيطرتها على لغته لتحشد هذا الكم الهائل من الألفاظ والصور البيانية والأساليب الفنية في تصوير افتخاره.

وفي قصيدة " مرحبا ألف" يوظف الشاعر عبارة دارجة على ألسنة أهل المنطقة للترحيب بالضيوف، لتنهض بدلالة الانتماء المكاني لمنطقة الجنوب، ذلك من خلال تكرار هذه الدلالة اللفظية في أكثر من موضع للضغط على أذن المتلقي، فيصبح انتباهه متوجها نحو ما تنطوي عليه من دلالة، و يقوم التكرار بدوره في إثارة العاطفة لدى مجتمع القراءة، وإثارة شغف المتلقي، يقول:

بـ (مرحبا ألف) ضيف الدار نلقاه قول سبقنا الليالي وابتدعناه

و (مرحبا ألف) في أبها لها نغم يذوب كل كريم في ثناياه

فألف أبها كأبها كلما عبرت يوما من العمر لمت منه أحلاه

في (مهجر الغيم: أبها) طالما حبست لـ (مرحبا ألف) سقياها وسقياه

في (موطن القمح: أبها) طالما ادخرت لـ (مرحبا ألف) مجناها ومجناه

و (مرحلا ألف) تطوي بين أحرفها مجداً من الجود عن عاد ورثناه

فـ(مرحبا ألف) سحر الأزد قد نفثت أبها به فشفت للجود ليلاه[١٣]

تكرار الألف يعمل دلاليا وإيقاعيا،وهو بما ينطوي علية من دلالة الانفتاح والامتداد يشير إلى امتداد فخر الشاعر بهذه العادة في الترحيب، فهو حين يتغنى بعادات أهل المنطقة في الترحيب بالضيف، يعكس شعورا بالحب والفخر بالتمسك

بتلك العادات، وهو يشير إلى خصوصية العبارة بقوله (ابتدعناه)، وهو بهذه الإشـــارة يشير لانتمائه المكاني للمنطقة.

وهو من خلال هذا التغني بجمال العادات في أبها و فخره بنســـب قبائلهـــا، يركز على كرم أهلها وحسن استقبالهم للضيف، فيقول:

وكل (وعكَّة سمن) خلف بسمتهـــا ضنى القوارير في تسمين مرعاه

مرعى تصب غروب الماء في فمه جمال كل جنوبـــي وسيمـــــــاه

البرُّ والسَّمن نقري الضيف بينهما عاما من العمـــر، في حقل كتبناه

بالغيم بالطين بالمحراث يطربـــــه صـــــدق ابتهالاتنا: رباه رباه(١٤)

بتصويره لتراث المنطقة في المـــأكل والمشرب وطبيعة الحياة، بألفاظ تدرج على ألسنة أهل المنطقة : (وعكة سمن – البّر والسمن) يؤكد الانتماء لهذه المنطقـــة فهو العارف بتفاصيل عاداتهم ولهجاتهم.

وهو حين يعبر بضمير الجماعة يؤكد على هذا الانتماء (نقري – كتبنـــاه – ابتهالاتنا)، كما يعزز الانتماء المكاني بكلمة (سيماه) فهذه العادات، علامـــة فارقـــة يتميز بها الجنوبي، ولكن الكلمة تنهض بدلالة أعمق تشير إلى ما يميز أهل المنطقـــة من كرم الضيافة فهم يقدمون له عاما من الجهد في حقول مزارعهم.

وكثيرا ما يتغنى الشاعر بجمال المنطقة، وجمال ساكنيها، مفتخرا بانتمائـــه، يقول في قصيدة بعنوان " جيزان":

هذا سلامي ضاحـــــك بفمـــي والحب يملأ من نفسي نواحيها

رأيتها ورياض الفـــل ضاحكـــة بها فناديت: مـــا أبها ووراديها

كم زورة لك في جيزان زاهيـــة تبقى بقلبـــــك ذكراها فتأتيها

أزورها وبياض الصبح يشهد لي أني أحــب مسيرا في روابيها

وأنثني وسواد الليل يهمس لي: كفف دموع فراق أنت باكيها[١٥]

تبدو لغة الشاعر، لغة عاشق لمنطقة جيزان وجمال طبيعتها (رياض الفل – روابيها – البحر – البر– أرض الرجال)، ومفرداته تؤسس لعلاقة حب بينه وبينهـــا، مما يقوي شعور الانتماء للمكان، فهو حريص على إيصال مشاعره المتأججـــة إلـــى القارئ، معتمدا على الصور البيانية التي زادت المعنى قوة وحضـــوراً (ضـــاحكة – يهمس لي – الأمواج لاهثة – أحضان شاطيها) ليجعل القارئ يستنتج هذا الإحســـاس بالانتماء من خلال وصف جمال المنطقة، ووصف مشاعر الحب التي تسيطر عليـــه تجاهها، وهو يصرح بهذا الانتماء في آخر بيت في القصيدة فيقول:

أنا الفخور بها أشدو بملء فمي جيزان أرضي وأهلي هم أهليها.[١٦]

ومن الملاحظ على الشاعر في قصائده التي يبرز فيها الاحتفـــاء بالمكـــان، توظيف ثنائية (الوطن – المحبوبة)، فكثيرا ما خاطب الشعراء منذ القـــدم أوطـــانهم بصيغة المحبوبة، وكلما زادت مشاعر الحب للأرض تأججا، زاد الانتماء المكـــاني حضورا، نجده في قصيدة بعنوان: (تنومة) يبرز الحبيبة بوصفها معادلا موضـــوعيا لقريته، يعبر عن حبه وشغفه بها، ويصور غيرة النساء منها يقول:

ملكتهـــا قلبـــي بعـــابر نظـــــرة وصـــددت عنه من العيـــون نبالا

والغيد كم حـــاولن أن يملكنـــــه أو بعضـــــــه حتى ولـــو مثقالا

أرسلن ســـود عيونهـــن وزرقها وأطلـــن في كنـــف الغرام جدالا

فأجبتهن وفي الفـــؤاد تمنـــــــع إني جعلـــــــت وصالكن محالا

أنا عاشق والعشق قض مضاجعي والليـــل والسهر المؤرق طالا[١٧]

في هذه الأبيات يشير إلى تعلق قلبه بقريته، مستعيرا عواطف الحب والغيرة، ويصور " تنومة" كالمحبوبة الفاتنة التي أثارت مشاعر الغيرة لدى الفتيات، فهو متعلق بها ولا يرى غيرها.

ثم نلاحظ حضور الحوار الذي يقوم على الاستفهام عن شخصية هذه المحبوبة في الأبيات التي تليها

قالت لي إحداهن: أي مليحة ملكت فؤادك فانحنى ميالا؟

فتسابقت كلمات عشقي في فمي وأقمن في قمم اللّهاة قتالا(١٨)

وجاء جوابه على هذا الاستفهام على سبيل وصف مفاتنها، وتعلق الاف العشاق بها ليضيف إلى هذا الحوار عنصر التشويق، ويضاعف رغبة المتلقي واستفزازه للكشف عن شخصيتها، يقول:

فعشيقتي استغنت بحسن ما ارتدت أمثالكن لآلئا وغلالا

ما أسدلت دوني براقعها ولا سورا يواري حسنها وحجالا

ولها معي الآلاف من عشاقها وبجودها تهب الجميع وصالا

ثم يصرح الشاعر عن محبوبته بعد ذلك كاسرا أفق التوقع لدى المتلقي، الذي بدأ في الهمس ورسم التوقعات، ويصدمه بعد أن صور قريته بصور المحبوبة ووصفها بصفات المرأة التي سلبت قلوب عشاقها، يقول:

مهلا ولا تهمسن إن عفافها كعفاف مريم رفعة وجلال

إن التي سلبت فؤادي لم تكن إنسا ولا جنا ولا رئبالا

هيا معي (لرؤوس شري) كي نرى منها (تنومة) للجمال مثالا(١٩)

هذه اللوحات بلغتها الغنية، تعمل دلاليا على تعميق الإحساس بالانتماء المكاني لدى الشاعر، فالحركة الشعرية الغنية بالروح العاطفية، تصور تقدير المكان من خلال نقل مشاعر الحب من خاصيته الإنسانية إلى الفضاء المكاني، لينقل لنا مشاعر الحب الصادقة، وبالتالي يؤكد انتماءه لهذا المكان، فلا تصدر هذه العاطفة المشتعلة بمشاعر الحب إلا من شخص عاش في كنف هذا المكان وارتبط بمراحل من عمره.

وفي قصيدة غيرة، يثر الشاعر حنين قوي لمكانه الأول، فيبرز هذا الحنين في صورة حوارية متخيلة بينه وبين قريته " النماص" ذلك المكان الذي يعاتبه على ابتعاده في صورة عاشقة تعاتب معشوقها لاختياره البقاء مع غيرها، يقول:

فقلت ما بال حسناء الجنوب لنا تبدي الصدود وقد قمنا نحييها

ألست شاعرك الصيداح قد لثمت أشعاره فاك في أحلى معانيها

أما سهرنا ليالي العشق خالية بنا وأيامنا رقت حواشيها(٢٠)

ويستمر الحوار إلى أن يقول على لسان " النماص":

طوتك أبها بعيدا عن مسامرتي حتى سلوت على أنغام ناديها

سلوت عنا بها حتى غدوت لها خلا وقمت على عشق تناجيها (٢١)

تحمل الصيغة الحوارية في هذه الأبيات، حنين الشاعر للمكان، والرغبة القوية في العودة إليه، لكن هناك أسباب تحول بينه وبين رغبته، وفي هذا تتجلى صورة الانتماء المكاني بصورة أكثر وضوحا، حيث دفعته مشاعر الحنين لاختلاق حوار يبين فيه رغبته الجارفة بالعودة لمدينته" النماص" مبرزا قوة مشاعره وحبه لتلك المنطقة ومبررا أسباب ابتعاده عنها، وهو يصرح بذلك الانتماء في آخر بيت بقوله:

ما عبت أبها ولكن هذه بلدي جسمي هناك وقلبي نابت فيها[٢٢]

وفيها إشارة من خلال مفردة " نابت" أن انتماءه من حيث الأصل والميلاد لمنطقة "النماص" ففيها ولد وعاش أيام طفولته وشبابه.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المتتبع لقصائد الديوان يلحظ، استقلالية البيت بذاته، حيث يحمل كل بيت معناه مع وجود رابط بين البيت والغرض فتتميز القصيدة بوحدة البيت ووحدة الموضوع معا، كما يلحظ تذييل الشاعر لقصائده بالمكان، وهذا يحمل دلالة سيميائية على الانتماء المكاني، فهو حين يدرج اسم المدينة التي كتب فيها قصيدته يلفت نظر القارئ إلى مدى فخره بالانتماء الوطني، والتنقل بين مدنه دون إحساس بالغربة.

النتائـــج:

١- تجلى الانتماء المكاني لدى الشاعر محمد بن علي العمري في تغنيه بالأماكن المقدسة وبمطقة عسير.

٢- برز الانتماء المكاني لدى الشاعر محمد بن علي العمري بشكل أكثر وضوحا في أغراض الفخر والحنين وتصوير مشاعر الحب.

٣- وفق الشاعر في توظيف لغته للتعبير عن هذا الانتماء بتنويع الأساليب والاعتماد على الصور البيانية الموحية .

٤- غلب المعجم الديني على قصائد الانتماء لمكة والمدينة لتتلائم والخصوصية الدينية للمكان.

٥- نوع في استخدام معجم الفخر والحب والحنين للتعبير عن الانتماء المكاني لقرية الشاعر ومدينته وقريته.

الهوامش

(١) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٠٨هـ، ج١ : ٣٨٤ .

(٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط٢، ج٦ : ٢٥١٦ .

(٣) مدونة الدكتور صابر أحمد عبد الباقي للمهتمين بعلم الاجتماع :
drsaber.blogspot.com/2009/04blog-bost_3.html?m=1

(٤) نفسه

(٥) آل مبارك: عبد الله بن ناجي: مقال: مفهوم الانتماء الوطني، جريدة الرياض، الخميس، جمادى الآخر، ١٤٣٨هـ - ٢٠ مارس ٢٠١٧م، العدد: ١٣٣٣٨ .

(٦) ينظر: المرجع السابق: مدونة الدكتور صابر أحمد عبد الباقي للمهتمين بعلم الاجتماع على شبكة الإنترنت.

(٧) تواصلت الباحثة مع الشاعر محمد العمري عبر حسابه الشخصي في موقع التواصل الاجتماعي تويتر.

(٨) العمري: محمد بن علي: ديوان الريحانة،دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٥م : ٣١٤، ٣١٥.

(٩) أبو الطيب: أحمد بن الحسن الجعفي:ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣:٣٨٧

(١٠) مرجع سابق: الديوان:٢٢٦

(١١) مرجع سابق: الديوان: ٢٩٥

(١٢) نفسه: ٢٩٧

(١٣) مرجع سابق: الديوان: ٢٧٧

(١٤) نفسه : ٢٧٨

(١٥) مرجع سابق : الديوان:١١٧، ١١٦ .

(١٦) نفسه: ١١٧

(١٧) نفسه: ٨٧

(١٨) نفسه: الديوان: ٨٧

(١٩) مرجع سابق: الديوان:٨٨، ٩٨

(٢٠) نفسه:٣١

(٢١) نفسه:٣٢

(٢٢) نفسه: الديوان:٣٣

المصادر والمراجع

أولا المصـــادر:

١- الجوهري: إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطـــار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط٢ .

٢- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسســة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـــ، ج١

المراجـع:

١- أبو الطيب: أحمد بن الحسن الجعفي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـــ

٢- العمري: محمد بن علي: ديوان الريحانة، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٥م

٣- مدونة الدكتور صابر أحمد عبد الباقي للمهتمين بعلم الاجتماع :
drsaber.blogspot.com/2009/04blog-bost_3.html?m=1

٤- آل مبارك: عبد الله بن ناجي: مقال: مفهوم الانتماء الوطني، جريـــدة الريـــاض، الخمـــيس، جمادى الآخر، ١٤٣٨هـــ _ ٢٠ مارس ٢٠١٧م، العدد: ١٣٣٣٨.